# فضل مجالس أهل العلم و الذكر
# و التحذير من مجـالس أهل المعاصي و البدع و الأهواء
# و ذكر ما ينتج منها من شـــرو بلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله, نحمده, ونستعينه, ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ .{

}يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا{

}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .{

فإن أصدق الحديث كلام الله, وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها, وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

**فإني لمـّا أن رأيت** ما في زماننا هذا من انشغال كثير من الناس ورغبتهم في الدنيا وحطامها ، بل وأصبحوا حريصين على الإكثار من الوظائف والشهادات لتجميع الأموال والاستكثار منها ، ولوكان على حساب دينهم ، ولا تجد لسانه ينطق إلا بالمكاسب الدنيوية و بأمور الدنيا .

دَعْ عنك من قد ضيّع دينه وترك أمر ربّه من أجل ذلك ، نسأل الله العافية ، والثبات على دينه حتى نلقاه.

وصدق ربُّنا إذ يقول:

}أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ{ *

قال ابن كثير في "تفسيره : "يقول تعالى: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها؟ !

وقال الحسن البصري: { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } في الأموال والأولاد .

وفي "صحيح البخاري" في "الرقاق" منه: وقال : لنا أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك ، عـن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت : { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } يعني: « لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب .«

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن مُطْرِّف - يعني ابن عبد الله بن الشخير- عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم –

وهو يقول: « { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } يقول ابن آدم: مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟. «

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شعبة به.

وقال مسلم في "صحيحه" : حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم » : -يقول العبد: مالي مالي ؟ وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس .« تفرد به مسلم.

وقال البخاري: حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يتبع الميت ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ،

ويبقى عمله .« وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به .

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحي، عن شعبة، حدثنا قتادة، عن أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل .«أخرجاه في "الصحيحين. "

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى في يد رجل درهمًا .

فقال :لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي . فقال : إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر :أنتَ للمال إذا أمسكتَه ... فإذا أنفقتَه فالمالُ لَكْ ...اهـ بتصرف يسير.

ثم إنه إذا انشغل بدنياه يترك ما أوجب الله عليه ، وما كان عليه من خير واستقامة ، وهذا أمر لاحظناه وشاهدناه في أناس – هدانا الله وإياهم - ، فتجده مثلًا يجالس أهل البدع والأهواء والمعاصي ، فيضيع معهم ، إلا أن يتداركه سبحانه برحمته وعفوه .

**فلهذا وذاك أحببت** أن أجمع لي و لإخواني هذا الموضوع ليكون عوناً لنا على الخير والثبات ، وتذكيراً للهدى و الرشاد.

فذكرت السبيل الذي من سار عليه فإن الله ييسّر له أمر دنياه و معاشه ، الذي طالما تغافل كثير من الناس عنه ، ألا وهو طلب العلم الشرعي ، وذكرت كذلك ما يجب على العبد أن يشغل به لسانه من ذكر الله ، ثم ذكرت خطورة مجالسة أهل البدع والأهواء والمعاصي ، وبيّنت نتيجة ذلك.

وليس قصدي في هذه الرسالة حصر مادتها ، وتقصّي كل أدلتها ، بل قصدي هو جمع ما يحصل به التنبيه والتذكير فقط .

اللّٰهُمَّ وفقنا لطاعتك ، وجنبنا أسباب غضبك وعقوبتك ،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،

وعلى آله وصحبه.

**فصل**

## في فضل العلم

العلم الشرعي هو السبيل الوحيد الذي يعرف به العبد ربَّه ورسوله ودينه ،وهو خير ما تعمر به الحياة وتشغل به الأوقات ،و تُنال به المنازل والدرجات ، ويعطى به الخير والبركات ، وينال صاحبه به رضا رب الأرض والسموات .

ولذا فإن الله أمر نبيّه -صلى الله عليه وسلم - بالاستكثار منه ، كما في قوله:{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} ،والعبد إما أن يطلب الاستزياد والاستكثار من العلم الشرعي ، فهذا محمود بل مطلوب ، كما هو واضح من ظاهر الآية . وإما أن يكون طالباً للدنيا فهذا مذموم ، بل منهي عنه ، والدليل على ذلك ما رواه : البخاري (6436)، ومسلم (1049)عن ابن عباس - رضى الله عنهما - يقول سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : « لَوْ كَانَ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ . « هذا لفظ البخاري ، وجاء في "الصحيح " عن غيرابن عباس . فقوله : "ويتوب الله على من تاب" يدل على أنه حرص مذموم.

فالعلم ينجي صاحبه من الخسران ، يقول الله }: وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{.

قال السعدي :" ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات :الإيمان بما أمر الله بالإيمان به،ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به ...إلخ

والعلم به تعرف النجاة من الهلاك ، والهدى من الضلال ، فأؤلئك الذين جهلوا حقيقة ما فتن الله به قارون تمنوه ، وأصحاب العلم لما علموا ذلك لم يتمنوه وحذروا منه ، كما قال

تعالى:{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {

لهذا جعلهم الله في رفعة ، قال تعالى:{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {

وفي "صحيح مسلم (817) "عن عامر بن وَاثِلَة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بِعُسْفَانَ - وكان عمر يستعمله على مكة - فقال : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِى؟

فَقَالَ : ابْنَ أَبْزَى .

قَالَ : وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى ؟

قَالَ : مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا .

قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى !!

قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ .

قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ - صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَالَ » :إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ.«

وقال تعالى :{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ . {

فلا عبرة بالكبر ولا بالملك ، إنما العبرة بالعلم وإن كان صغيراً أوفقيراً ، فقد جاء في "صحيح البخاري (4970) "عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِى مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِى نَفْسِهِ

فَقَالَ : لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ؟

فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ . فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ - فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ - فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِى يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ .

قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا ، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

فَقَالَ لِى : أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟

فَقُلْتُ : لاَ.

قَالَ : فَمَا تَقُولُ ؟

قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَعْلَمَهُ لَهُ ، قَالَ : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا . {

فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ.

وذكرأبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بابن عساكر في "تاريخ دمشق " ( 40/375)أن عطاء بن أبي رباح عبد أسود لامرأة من أهل مكة ، وكان أنفه كأنه باقلى ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه يصلي ، فلما صلى انتقل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال

سليمان لابنيه : قوما فقاما ، فقال :يا بني لا تنيا في طلب العلم ، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

وقال أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي في "شرف اصحاب الحديث "رقم (205) عن يحي بن أكثم ، قال : قال لي الرشيد : ما أنبل المراتب ؟

قلت : ما أنت فيه يا أمير المؤمنين .

قال : فتعرف أجل مني ؟

قلت : لا .

قال : لكني أعرفه : رجل في حلقة يقول : حدثنا فلان عن فلان قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم. -

قال : قلت : يا أمير المؤمنين هذا خير منك ، وأنت ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم – و ولي عهد المسلمين ؟

قال : نعم ، ويلك ، هذا خير مني ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يموت أبداً ، نحن نموت ونفنى ، والعلماء باقون ما بقي الدهر .

بل لربما تمنى الملوك أن يعطوا العلم بدلاً من الملك الذي هم فيه ، فقد ذكر ال
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " رقم (1838)عن أبي الحسين بن فارس اللغوي ، يقول : سمعت الأستاذ ابن العميد يقول : ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها ، حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبراني وأبي بكر الجِعَابي بحضرتي ، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه ، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه .

فقال الجعابي : عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي.

فقال : هاته.

فقال : نا أبو خليفة ، نا سليمان بن أيوب ... وحدّثَ بالحديث .

فقال الطبراني : أنا سليمان بن أيوب ، ومني سمع أبو خليفة ، فاسمع مني حتى يعلو إسنادك فإنك تروي عن أبي خليفة عني ، فخجل الجعابي وغلبه الطبراني .

قال ابن العميد : فوددت في مكاني أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لي وكنت الطبراني ، وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث ، أو كما قال .

وذكر ابن عساكر في "تاريخ دمشق (5/469) "عن ابن أبى الخناجر ، قال : كنت في مجلس يزيد بن هارون بواسط ، فجاء أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس - وفي المجلس ألوف -فالتفت إلى أصحابه ، فقال : هذا الملك.

فالعلم جعله الله أعظم سبب لنيل خيري الدنيا والآخرة ، ففي "صحيح البخاري" رقم (7324)عن محمد - وهو ابن سيرين- قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ فَتَمَخَّطَ ، فَقَالَ : بَخْ بَخْ ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِى الْكَتَّانِ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَإِنِّى لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَىَّ ، فَيَجِىءُ الْجَائِى فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِى ، وَيُرَى أَنِّى مَجْنُونٌ ، وَمَا بِى مِنْ جُنُونٍ ، مَا بِى إِلاَّ الْجُوعُ .

وقال أبو هلالا لحسن بن عبد الله العسكري في "الحث على طلب العلم " صـ (43 :(فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق ، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والأعوام ، وهيبة بغير سلطان ، وغنًى بلا مال ، ومنعة بغير سلاح ، وعلاءً من غير عشيرة ، وأعواناً بغير أجر ، وجنداً بلا ديوان وفرض ، فعليك بالعلم ، فاطلبه في مظانه ، تأتك المنافع عفواً ، وتلقَ ما يعتمد منها صفواً .

وقال وهب بن منبه : يتشعّب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيًّا ، والقرب وإن كان قصياً ، والغنى وإن كان فقيرًا ، والنبل وإن كان حقيراً .ذكره عنه المناوي في "فيض القدير " (1/ 692).

وهكذا خير الآخرة ، كماجاء في "صحيح مسلم" رقم (2699)عن أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم » : -وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ .« ورواه البخاري في "صحيحه (1/210) "مع "فتح الباري" معلقاً من وجه آخر.

وروى البخاري (71)،ومسلم (1037)عن معاوية بن أبى سفيان قال - صلى الله عليه وسلم- :" « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ .«

وأمرُهذه فوائده وعواقبه ومنافعه لا يكون نيله إلا بالجد والاجتهاد والتعب وسهر الليالي، قال يحي بن أبي كثير :"لايُستطاع العلم براحة الجسد "ذكره الإمام مسلم في "صحيحه " (5/117)مع "شرح النووي."

وقال الشافعي : " لا يدرك العلم إلا بالصبر على الضر . " ذكره عنه الخطيب في"الفقيه والمتفقه" رقم . (828)

وقال أيضاً كما في المصدر السابق رقم " : (823)لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزّ النفس فيفلح , ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح . "

وقال ابن الجوزي :فإن العلم بطيء اللزام بعيد المرام ،لايدرك بالسهام ،ولا يرى في المنام ،ولا يورث عن الآباء والأ عمام ،إنما هوشجرة غرس،لا يصلح إلا بالدرس ،ولا يحصل إلا بالاستناد على الحجر، ومواصلة السهر ، وافتراش المدر، وقلة النوم ،وصلة الليلة باليوم ... - إلى أن قال - : فلايدركه إلا من أنفق العين ، وجثّ على الركبتين .

وقال ابن القيم في "مفتاح دار السعادة - (1/111-112) "وهو يتكلم عن سعادة العلم - : وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها ، وعورة طريقها ومرارة مباديها وتعب تحصيلها ، وأنها لا تنال إلا على جدٍ من التعب فإنها لا تحصل إلا بالجد المحض ... وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية ، وقد أحسن القائل في ذلك : فقل لمرجي معالي الأمور ... بغير اجتهاد رجوت المحالاْ وقال الآخر : لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال .اهـ

**فصل**

**في فضل الذكر**

قال المناوي في"الفيض (5/630) "تنبيه : (قال بعضهم : الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الله ، وقيل : ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان سواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله ، أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه ، وما يقرب من الله من فعل أو سبب بنحو قراءة أو ذكر اسمه أو نحو ذلك ، فالمتفقه ذاكر ، وكذا المفتي والمدرس والواعظ والمتفكِّر في عظمته تعالى ، والممتثل ما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه .اهـ

روى الإمام الترمذي رقم (3377)وغيره عن أبي الدرداء رضى اللَّه عنه قال قال النبي - صلى الله عليه وسلم- : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِى دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ .« قَالُوا : بَلَى .قَالَ : « ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى .« فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رضى الله عنه -: مَا شَىْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

قال شيخنا في "الصحيح المسند" رقم : (1038)هذا حديث صحيح .اهـ

وروى الطبراني في " المعجم الأوسط" رقم (2296)عن جابر رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال " مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . " قِيلَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ ! قَالَ " : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِك حَتَّى يَنْقَطِعَ . "

قال العلامة الألباني في "صحيح الترغيب" رقم :(1497)حسن لغيره .اهـ

فذِكْر الله -أيها المسلمون- عبادة عظيمة جامعة لسائر الطاعات ، روى الإمام الترمذي رقم (3375)، وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ - رضى الله عنه - أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ .قَالَ : « لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .«

قال أبو الحسن المباركفوري في " مرعاة المفاتيح ) : "قال لا يزال) ، أي : هو إنه لا يزال (لسانك رطباً من ذكر الله) ، أي : طرياً مشتغلاً قريب العهد منه ، وهو كناية عن المداومة على الذكر . قال ابن القيم في"الوابل الصيب" : (الفائدة السابعة والخمسون للذكر) أن أدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع ، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقالوا : يا رسول الله !ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون. فقال » : ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من

بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم. قالوا : بلى يا رسول الله!قال تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة « ... الحديث متفق عليه .فجعل

الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحـج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يسبقونهم بهـذا الذكر ، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم التعبد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين .اهـ

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم كما تحكي عنه عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها - كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- " يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ ."رواه مسلم رقم (373)، وعلقه البخاري في "صحيحه (1/528) "مع "فتح الباري "

بل كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "رواه البزار في "المسند" رقم (2075)عن ابن مسعود ، وهو في "الصحيح المسند" رقم (867)، وقال : هذا حديث حسن .اهـ

وكان يعلِّم ذلك أصحابه ،كما جاء عند البزار أيضاً رقم (2661)، ورواه أبو داود رقم (1522)عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا ، فَقَالَ » : يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ . «فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ . فَقَالَ » : أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ . «

وهذه الصفة قد أمر بها ربنا في كتابه فقال:{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ {

وقال:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ {

وكم في ذكر الله من فوائد وفضائل فهوحياة القلوب .

قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ {

وهو يعطي البدن القوة والنشاط ، كما جاء عند البخاري (1142)، و مسلم (776)من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ . فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ . «

وروى البخاري (3113)، و مسلم (2727)أيضاً عَنْ ابْنَ أَبِي لَيْلَى حَدَّثَنَا عَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا وَأَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- سَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ . فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- : « عَلَى مَكَانِكُمَا ». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ

عَلَى صَدْرِى . ثُمَّ قَالَ : « أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ».

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تَقْدر على الخدمة أكثر مما يقدر عليه الخادم.

قال ابن القيم في "الوابل الصيب "صـ (106 ) : (الحادية والستون : ( أن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر ، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً ، وقد

علَّم النـبي – صلى الله عليه وسلم- ابنـته فاطمة وعلياً - رضي الله عنهما - أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين ، لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلَّمها ذلك ، وقال » : إنه خير لكما من خادم . «فقيل أن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم . اهـ

الحافظ في "فتح الباري : (11/150) "وفيه - أي : حديث فاطمة - أن من واظبعلى هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه و سلم على ذلك .

كذا أفاده بن تيمية ، وفيه نظر ، ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب ، والله اعلم . اه

وروى البجاري (4205)، ومسلم (2704)عَنْ أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - فِى سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - : « أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا . « ثُمَّ أَتَى عَلَىَّ وَأَنَا أَقُولُ فِى نَفْسِى : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ . « أَوْ قَالَ : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِىَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . «

قال ابن القيم في"الوابل "صـ ( 106 : (وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة وتحمّل المشاق والدخول على الملوك ، ومن يخاف وركوب الأهوال ، ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر ،كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم » : – من قال لا حول ولا قوة

إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً . «وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدوًا أو ناهض حصناً قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنه ناهَضَ يوماً حصناً للروم فانهزم ، فقالها المسلمون وكبَّـروا فانهدم الحصن .اهـ

قلت : الحديث المذكور لا يصح ، قال في "لسان الميزان : (1/385) "أسد بن وداعة : شامي من صغار التابعين ناصبي يسب ... وقال النسائي : ثقة . اهـوقال الألباني في " ضعيف الترغيب والترهيب " رقم (980 : (ضعيف .اهـ

وفي "صحيح البخاري (6407) "، و"صحيح مسلم (779) "أيضًا عَنْ أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - : « مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ . «هذا لفظ البخاري ، ولفظ مسلم : « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ .«

بل جعله الله سببًا للنصر والفلاح ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ { وأيضًا فهو سبب لنيل الأجور ومغفرة الذنوب ، قال تعالى:{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {

والذاكرون الله هم أهل السبق للخير فقد جاء عند مسلم رقم (2676)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -يَسِيرُ فِى طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ : « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ .« قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ .«

فذِكْرُ الله سلاحك - أيها المسلم- يوم أن تَقْدُم على ربِّك فيجعلك في ظل عرشه،كما جاء عند البخاري (660)، ومسلم (1031)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم -

قَالَ » : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ «وذكر منهم « وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. «

وجاء عند البزار رقم (8751)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ » : ثَلاَثَةٌ لا يُرَدُّ دُعاؤُهُمْ : الذَّاكِرُلله ، ودَعْوَةُ المَظْلُومُ ، والإِمامُ المُقْسِطُ . «

وحسنه العلّامة الألباني في "الصحيحة" رقم (3374)

وفي "صحيح البخاري (7405) "، و"صحيح مسلم (-2675)"عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ » :يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُم . «

وعند ابن ماجه رقم (3792)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ » : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِى إِذَا هُوَ ذَكَرَنِى وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَاهُ .«

وصححه العلّامة الألباني في "صحيح ابن ماجه. "

**فصل**

**في ذكر كتب الأذكار المعتمدة**

**والتحذير من الكتب المبتدعة**

في"فتاوى اللجنة الدائمة" : الفتوى رقم ( 20208 )

س :أنا مواطن مسلم ، أفضل أن أملأ وقت فراغي بقراءة القرآن وذكر الله ، والصلاة على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في بداية الأمر كنتأجمع الأذكار والأدعية من كتب مختلفة وأطبقها مثل : (الأذكار النووية) ، (عمل اليوم والليلة) إلى أن التقيت بإنسان يقول بأن عنده أورادًا مأثورة ، وضعها ولي صالح هويدي ، إبراهيم الدسوقى صاحب (الطريقة

البرهانية الدسوقية الشاذلية) وحجته : أنه لا يجوز أخذ الأوراد من الكتب ، بل من يد آمنة ؛ لأنك ربما تخطئ في وضع الأوراد في مكانها ووقتها ، أنا متردد في القيام بها ، أريد حكمًا شرعيًا ، جزاكم الله عن الإسلام خيرًا .

ج : عليك بالاعتماد على كتب الأذكار الموثوقة التي ألفها العلماء الثقات ، مثل : (الأذكار) للإمام النووي ، و (الوابل الصيب من الكلم الطيب) لابن القيم ، و (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وأما الأذكار التي وضعها أئمة الصوفية فالغالب عليها أنها تشتمل على أذكار غير مشروعة ، أو أذكار شركية ، مثل : التوسل بالمخلوقين ، أو الاستعانة بهم من دون الله عز وجل ، والقول بأنه لا يجوز أخذ الأوراد من الكتب بل من أيد آمنة قول باطل ؛ لأن الأذكار تؤخذ من كتاب الله عز وجل ومن كتب الأحاديث الصحيحة .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .اهـ

وفيها أيضًا: الفتوى رقم ( 20865 )

ج : هذه النبذة المسماة : (المجموعة المباركة في الصلوات المأثورة والأعمال المبرورة ، تأليف : عبده محمد بابا ) لا يعتمد عليها ، لما تشتمل عليه من الأحاديث التي لم تعزَ إلى كتاب موثوق من كتب الحديث التي فيها أدعية بدعية ، وفي آخره صلوات وأوراد مبتدعة وتوسلات شركية لأصحاب الطرق الصوفية المنحرفة ،كابن مشيش وصاحب دلائل الخيرات وأحمد البدوي وغيرهم شعرًا ونثرًا ، فالواجب التحذير من هذه النبذة وما شابهها ؛ نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .اهـ

**فصل**

**في فضل مجالس العلم و الذكر**

وأعني بذلك مجالس أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح ، فهي مجالس الهدى والخير ، التي ينبغي للعبد المسلم أن يلزمها ، وأن يحثّ نفسه وغيره على حضورها ، فكم فيها من المنافع والمصالح.

قال ابن رجب في بدء كتابه "لطائف المعارف : "

كانت مجالس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله و ترغيب و ترهيب ، إما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة و الموعظة الحسنة ، و تعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكر و يعظ و يقص ، و أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و أن يبشر و ينذر و سماه الله { مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا... {اه

قلت : ولهذا تجد في الكتاب والسنة الحث و الترغيب لهذا الخير :

قال الله تعالى : {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. {

قال أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير في تفسيره ": **تفسير القرآن العظيم** : "

أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء .اه

فهؤلاء هم الذين يُجالسون ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً . « رواه البخاري (2101)، ومسلم (2628)عن أَبِي مُوسَى- رضى الله عنه-

قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في "شرح صحيح البخارى : (6/232) "وإنما خرج كلامه عليه السلام فى هذا الحديث على المثل فى النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته ، كالمغتاب والخائض فى الباطل ، والندب إلى مجالسة من ينال فى مجالسته الخير من ذكر الله تعالى ، وتَعلُّم العلم وأفعال البر كلها .اه

وقد ورد في فضل مثل هذه المجالس الخير الكثير منها :

ما رواه البخاري (6408)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِى الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ . قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ - : مَا يَقُولُ عِبَادِى ؟

قَالُوا : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ .

قَالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِى ؟

قَالَ : فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ .

قَالَ : فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا .

قَالَ : يَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِى ؟

قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ .

قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا .

قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً .

قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ .

قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا .

قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً .

قَالَ : فَيَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ .

قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ : فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ .

قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ. «

ورواه مسلم رقم (2689)بلفظ:

»إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ .

قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟

فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِى الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِى ؟

قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ .

قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِى ؟

قَالُوا : لاَ أَىْ رَبِّ .

قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِى ؟

قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ.

قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِى ؟

قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ .

قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِى ؟

قَالُوا : لاَ.

قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِى ؟

قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ.

قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا

قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ .

قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ .«

قال أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبد السلامالمباركفوري في "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" : (7/395) "فيحفونهم "بفتح التحتية وضم الحاء وتشديد الفاء من الحف وهو الاشتمال حول شيء ، أي : يطوفون بهم ويدورون حولهم من جوانبهم ،

"بأجنحتهم" قال المظهري : الباء للتعدية ، أي : يديرون أجنحتهم حول الذاكرين ، وقال الطيبي : الظاهر إنها للاستعانة كما في قولك : كتبت بالقلم ، أي : يطيفونهم ويحدقون بهم بأجنحتهم لأن حفهم الذي ينتهي إلى السماء إنما يستقيم بواسطة الأجنحة ، "إلى السماء الدنيا" ، وفي رواية : "إلى سماء الدنيا" قال الطيبي : أي يقف بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا .اهـ

وقوله في رواية : "فُضْلًا" ، قال ابن الأثير في "النهاية" : زيادة عن الملائكة المُرَتَّبين مع الخلائق .اهـ

وروى البخاري (66)، ومسلم (2176)عَنْ أَبِى وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِى الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلاَثَةٌ ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَذَهَبَ وَاحِدٌ .قَالَ : فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِى الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم . - قَالَ » : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ : أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ . «

قال محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري في "تحفة الأحوذي :(7/424) "وفي الحديث استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم في موضع بارز ظاهر للناس والمسجد أفضل فيذاكرهم العلم والخير .وفيه جواز حلق العلم والذكر في المسجد ، واستحباب دخولها ومجالسة أهلها ، وكراهة الانصراف عنها من غير عذر ، واستحباب القرب من كبير الحلقة ليسمع كلامه سماعًا بيّـنًا ويتأدب بأدبه ، وأن قاصد الحلقة إن رأى فرجة دخل فيها وإلا جلس وراءهم ، وفيه الثـناء على من فعل جميلًا فإنه صلى الله عليه و سلم

أثنى على الاثنين في هذا الحديث ، وأن الإنسان إذا فعل قبيحًا ومذمومًا وباح به جاز أن ينسب إليه . اهـ

*وروى البخاري (7405)، ومسلم (2675)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم - : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ بِشِبْرٍتَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. «

*وروى مسلم (2701)عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟

قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ.

قَالَ : آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ ؟

قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ.

قَالَ : أَمَا إِنِّى لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّى وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « مَا أَجْلَسَكُمْ » ؟

قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا .

قَالَ : « آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ »؟

قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ .

قَالَ » :أَمَا إِنِّى لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِى جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِى بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ.«

قال أبو الحسن المباركفوري في " مرعاة المفاتيح " :(7/412) "يباهي بكم الملائكة" ، أي : فأردت أن أحقق بماذا كانت المباهاة فللاهتمام بتحقيق ذلك الأمر الإشعار بتعظيمه أستحلفكم ، قال النووي : قوله "إن الله يباهي بكم الملائكة" معناه يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثنى عليكم عندهم ، وأصل البهاء الحسن والجمال ، وفلان يباهي بماله وأهله ، أي : يفتخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم .انتهى وقيل : معنى المباهاة بهم أن الله تعالى يقول لملائكته : انظروا إلىعبيدي هؤلاء كيف سلطت عليهم نفوسهم وشهواتهم وأهويتهم والشيطان وجنوده ، ومع ذلك قويت همتهم على مخالفة هذه الدواعي القوية إلى البطالة وترك العبادة والذكر فاستحقوا أن يمدحوا أكثر منكم ، لأنكم لا تجدون للعبادة مشقة بوجه ، وإنما هي منكم كالتنفس منهم ففيها غاية الراحة والملائمة للنفس . اهـ

*وروى مسلم رقم (2699)عن أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم : - »مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .«

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب في "جامع العلوم والحكم" : وسلوكُ الطَّريقِ لالتماس العلم يدخُلُ فيه سلوكُ الطَّريق الحقيقيِّ ، وهو المشيُ بالأقدام إلى

مجالسِ العلماء ، ويدخلُ فيه سلوكُ الطُّرُق المعنويَّة المؤدِّية إلى حُصولِ العلمِ ، مثل حفظه ، ودارسته ، ومذاكرته ، ومطالعته ، وكتابته ، والتفهُّم له ، ونحو ذلك مِنَ الطُّرق المعنوية التي يُتوصَّل بها إلى العلم .اهـ

*وروى مسلم رقم (2700)عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ : « لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .«

ورواه أبو داود (1455)، وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .«

قال محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني في "سبل السلام :(4/213) "دل الحديث على فضيلة مجالس الذكر والذاكرين وفضيلة الاجتماع على الذكر ، وأخرج البخاري : "إن لله مـلائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يـذكرون الله - تعالى - تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا "... الحديث.

وهذا من فضائل مجالس الذكر تحضرها الملائكة بعد التماسهم لها ، والمراد بالذكر هو التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن ونحو ذلك ... والذكر حقيقة في ذكر اللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضار معناه وإنما يشترط أن لا يقصد غيره فإن انضاف إلى الذكر باللسان الذكر بالقلب فهو أكمل وإن انضاف إليهما استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه إزداد كمالًا ، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما فكذلك ، فإن صحالتوجه وأخلص لله فهو أبلغ في

الكمال . وقال الفخر الرازي : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات ، وفي أدلة التكليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامه وفي أسرار مخلوقات الله ، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة بالطاعات ، ومن ثمة سمى الله الصلاة ذكرًا في قوله: {فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} . اه

وقال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين في"شرح رياض الصالحين : "يدل على فضل الاجتماع على ذكر الله - عز وجل - ولا يلزم من هذا أن يذكروا الله بصوت واحد بل الحديث مطلق ، لكن لم يعهد عن السلف أنهم يذكرون ذكرًا جماعيًا كما يفعله بعض أهل الطرق من الصوفية وغيرها ، وفيه أن هؤلاء المجتمعين تنزل عليهم السكينة ، والسكينة : هي طمأنينة القلب وخشوعه وإنابته إلى الله – عز وجل - وتغشاهم الرحمة ، أي :تحيط بهم من كل جانب فيكونون أقرب إلى رحمة الله - عز وجل - وحفتهم الملائكة ، أي :كانوا حولهم يحفون بهم إكرامًا لهم ورضًا بما فعلوا وذكرهم الله فيمن عنده ، أي : في الملأ الأعلى . اه

*وروى مسلم رقم (803)عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ - فَقَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ ؟.«

فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ .

قَالَ : « أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ .«

قال في "النهاية" : ناقة كَوْماء ، أي : مُشْرفة السَّنام عاليَته .اه

*روى أبو داود رقم (3667)عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم - : « لأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً ». قال شيخنا في "الصحيح المسند" رقم : (106)هذا حديث حسن .اه

*وروى الترمذي رقم (3510)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ».قَالَ : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ :« حِلَقُ الذِّكْرِ ». قال العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم : (2562)حديث حسن .اه

قوله : "فارتعوا" من رتعت الماشية رتعًا ورتوعًا من باب نفع ، رعت كيف شاءت ، قال في "القاموس" : رتع كمنع ، أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة ، أو هو الأكل والشرب رغداً في الريف.اه

*وروى الطبراني في "المعجم الكبير/6) "رقم ( 6039عن سهيل بن حنظلة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : « مَاْ جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُوْنَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيْهِ فَيَقُوْمُوْنَ حَتَّى يُقَاْلَ : لَهُمْ قُوْمُوْا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ ، وَبُدِّلتْ سَيِّئاتُكُمْ حَسَناْتٌ ». قال العلامة الألباني في"صحيح الترغيب" رقم : (1506)صحيح لغيره .اه

**فصل**

**و فيه ذكر ما يتعلّق بآداب ينبغي مراعاتها**

**في مجالس أهل العلم و الذكر**

في هذا الفصل أحبّ أن أذكر لك بعض الآداب التي لا بدّ أن نسلكها و أن نتحلّى بها عند جلوسنا في مجالس العلم و الذكر:

*أعظمها : أمر لا تنال هذه العطايا والأجور إلا به ألا وهو أن تبتغي بجلوسك في هذه المجالس وجه الله.

روى الإمام أحمد في المسند (12453) "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ : « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَهُ إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّآتُكُمْ حَسَنَاتٍ.«

قال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" : صحيح لغيره

*ومنها الإنصات للمتكلِّم ، كما في قوله تعالى }: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . {

*ومنها ما جاء في قوله سبحانه وتعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. {

قال ابن سعدي في التفسير : هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود.

وليس ذلك بضار للجالس شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه .

}وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا } أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، }فَانْشُزُوا } أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان .اهـ

*ومنها ما رواه البخاري (6269)، ومسلم (2177)عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ « لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِى مَجْلِسِهِ .«وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ عَنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ .

*ومنها ما رواه مسلم (2179)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : »إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ .«

*ومنها اتخاذ المكان الواسع ليعم الحاضرين ولعدم التضايق في المكان ، لما رواه أبو داود (4820)عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا.«

*ومنها احترام الكبير في المجلس وتقديمه في الكلام ففي "صحيح البخاري (61)"، و "صحيح مسلم (2811) "واللفظ له ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -فَقَالَ : « أَخْبِرُونِى بِشَجَرَةٍ شِبْهِ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا .«

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا.

فَقَالَ عُمَرُ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

فقد بوّب له البخاري فقال : باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال .

قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرحه للصحيح : ( 9/318)قال المؤلف : إكرام الكبير وتقديمه فى الكلام وجميع الأمور من أدب الإسلام ومعالي الأخلاق ، ... ولهذا المعنى قال عليه السلام : "كبِّر كبِّر" فأمر أن يبدأ الأكبر بالكلام ، فكان ذلك سنة إلا أنه دل حديث ابن عمر أن معنى ذلك ليس على العموم ، وأنه إنما ينبغى أن يبدأ بالأكبر فيما يستوي فيه علم الكبير والصغير ، فأما إذا علم الصغير مايجهل الكبير ؛ فإنه ينبغى لمن كان عنده علم أن يذكره وينزع به وإن كان صغيرًا ، ولا يعد ذلك منه سوء أدب ، ولا تنقصًالحق الكبير فى التقدم عليه ؛ لأن النبى عليه السلام حين سأل أصحابه عن الشجرة التى شبهها بالمؤمن وفيهم ابن عمر وغيره ممن كان دونه فى السن لم يوقف الجواب على الكبار منهم خاصة ، وإنما سأل دونه فى السن لم يوقف الجواب على الكبار منهم خاصة ، وإنما سأل جماعتهم ليجيب كل بما علم ، وعلى ذلك دل قول عمر لابنه : لو كنتَ قلتها كان أحب إلى من كذا وكذا ؛ لأن عمر لا يحب ما يخالف أدب الإسلام وسننه .اه

وفي معنى هذا ما ثبت في "صحيح مسلم [ 88 - (964) ] "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- غُلاَمًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِى مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ أَنَّ هَا هُنَا رِجَالاً هُمْ أَسَنُّ مِنِّى

**فضل مجالس أهل العلم و الذكر**

**و التحذير من مجـالس أهل المعاصي و البدع و الأهواء**

**و ذكر ما ينتج منها من شـــرو بلاء**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

المقدمة

الحمد لله, نحمده, ونستعينه, ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ .{

}يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا{

}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .{

فإن أصدق الحديث كلام الله, وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها, وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

**فإني لمـّا أن رأيت** ما في زماننا هذا من انشغال كثير من الناس ورغبتهم في الدنيا وحطامها ، بل وأصبحوا حريصين على الإكثار من الوظائف والشهادات لتجميع الأموال والاستكثار منها ، ولوكان على حساب دينهم ، ولا تجد لسانه ينطق إلا بالمكاسب الدنيوية و بأمور الدنيا .

دَعْ عنك من قد ضيّع دينه وترك أمر ربِّه من أجل ذلك ، نسأل الله العافية ، والثبات على دينه حتى نلقاه.

وصدق ربُّنا إذ يقول:

}أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ{ *

قال ابن كثير في "تفسيره : "يقول تعالى: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها؟ !

وقال الحسن البصري: { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } في الأموال والأولاد .

وفي "صحيح البخاري" في "الرقاق" منه: وقال : لنا أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك ، عـن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت : { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } يعني: « لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب .«

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت قتادة يحدث عن مُطَرِّف - يعني ابن عبد الله بن الشخير- عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم –

وهو يقول: « { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } يقول ابن آدم: مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟.«

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شعبة به.

وقال مسلم في "صحيحه" : حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم » : -يقول العبد: مالي مالي ؟ وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس .« تفرد به مسلم.

وقال البخاري: حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يتبع الميت ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله .« وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به .

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحي، عن شعبة، حدثنا قتادة، عن أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل .«أخرجاه في "الصحيحين. "

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى في يد رجل درهمًا .

فقال :لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي . فقال : إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر :أنتَ للمال إذا أمسكتَه ... فإذا أنفقتَه فالمالُ لَكْ ...اهبتصرف يسير.

ثم إنه إذا انشغل بدنياه يترك ما أوجب الله عليه ، وما كان عليه من خير واستقامة ، وهذا أمر لاحظناه وشاهدناه في أناس – هدانا الله وإياهم - ، فتجده مثلًا يجالس أهل البدع والأهواء والمعاصي ، فيضيع معهم ، إلا أن يتداركه سبحانه برحمته وعفوه .

**فلهذا وذاك أحببت** أن أجمع لي و لإخواني هذا الموضوع ليكون عوناً لنا على الخير والثبات ، وتذكيراً للهدى و الرشاد.

فذكرت السبيل الذي من سار عليه فإن الله ييسّر له أمر دنياه و معاشه ، الذي طالما تغافل كثير من الناس عنه ، ألا وهو طلب العلم الشرعي ، وذكرت كذلك ما يجب على العبد أن يشغل به لسانه من ذكر الله ، ثم ذكرت خطورة مجالسة أهل البدع والأهواء والمعاصي ، وبيّنت نتيجة ذلك.

وليس قصدي في هذه الرسالة حصر مادتها ، وتقصّي كل أدلتها ، بل قصدي هو جمع ما يحصل به التنبيه والتذكير فقط .

اللّهُمَّ وفقنا لطاعتك ، وجنبنا أسباب غضبك وعقوبتك ،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،

وعلى آله وصحبه.

## فصل

## في فضل العلم

العلم الشرعي هو السبيل الوحيد الذي يعرف به العبد ربَّه ورسوله ودينه ،وهو خير ما تعمر به الحياة وتشغل به الأوقات ،و تُنال به المنازل والدرجات ، ويعطى به الخير والبركات ، وينال صاحبه به رضا رب الأرض والسموات .

ولذا فإن الله أمر نبيـّه -صلى الله عليه وسلم - بالاستكثار منه ، كما في قوله:{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} ،والعبد إما أن يطلب الاستزياد والاستكثار من العلم الشرعي ، فهذا محمود بل مطلوب ، كما هو واضح من ظاهر الآية . وإما أن يكون طالباً للدنيا فهذا مذموم ، بل منهي عنه ، والدليل على ذلك ما رواه : البخاري (6436)، ومسلم (1049)عن ابن عباس - رضى الله عنهما - يقول سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ : « لَوْ كَانَ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ . « هذا لفظ البخاري ، وجاء في "الصحيح " عن غيرابن عباس . فقوله : "ويتوب الله على من تاب" يدل على أنه حرص مذموم.

فالعلم ينجي صاحبه من الخسران ، يقول الله }: وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{.

قال السعدي :" ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات :الإيمان بما أمر الله بالإيمان به،ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به ...إلخ

والعلم به تعرف النجاة من الهلاك ، والهدى من الضلال ، فأؤلئك الذين جهلوا حقيقة ما فتن الله به قارون تمنوه ، وأصحاب العلم لما علموا ذلك لم يتمنوه وحذروا منه ، كما قال تعالى:{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ{

لهذا جعلهم الله في رفعة ، قال تعالى:{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {

وفي "صحيح مسلم (817) "عن عامر بن وَاثِلَة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بِعُسْفَانَ - وكان عمر يستعمله على مكة - فقال : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِى؟

فَقَالَ : ابْنَ أَبْزَى .

قَالَ : وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى ؟

قَالَ : مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا .

قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى !!

قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ .

قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ - صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَالَ » :إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ.«

وقال تعالى :{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ . {

فلا عبرة بالكبر ولا بالملك ، إنما العبرة بالعلم وإن كان صغيراً أوفقيراً ، فقد جاء في "صحيح البخاري (4970) "عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِى مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِى نَفْسِهِ

فَقَالَ : لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ؟

فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ . فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ - فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ - فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِى يَوْمَئِذٍ إِلاَّ لِيُرِيَهُمْ .

قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا ، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

فَقَالَ لِي : أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟

فَقُلْتُ : لاَ.

قَالَ : فَمَا تَقُولُ ؟

قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَعْلَمَهُ لَهُ ، قَالَ : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا . {

فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ مَا تَقُولُ.

وذكرأبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بابن عساكر في "تاريخ دمشق " ( 40/375)أن عطاء بن أبي رباح عبد أسود لامرأة من أهل مكة ، وكان أنفه كأنه باقلى ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه يصلي ، فلما صلى انتقل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لابنيه : قوما فقاما ، فقال :يا بني لا تنيا في طلب العلم ، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

وقال أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي في "شرف اصحاب الحديث "رقم (205) عن يحي بن أكثم ، قال : قال لي الرشيد : ما أنبل المراتب ؟

قلت : ما أنت فيه يا أمير المؤمنين .

قال : فتعرف أجل مني ؟

قلت : لا .

قال : لكني أعرفه : رجل في حلقة يقول : حدثنا فلان عن فلان قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم. -

قال : قلت : يا أمير المؤمنين هذا خير منك ، وأنت ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم – و ولي عهد المسلمين ؟

قال : نعم ، ويلك ، هذا خير مني ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يموت أبداً ، نحن نموت ونفنى ، والعلماء باقون ما بقي الدهر .

بل لربما تمنى الملوك أن يعطوا العلم بدلا من الملك الذي هم فيه ، فقد ذكر الخط
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " رقم (1838)عن أبي الحسين بن فارس اللغوي ،
يقول : سمعت الأستاذ ابن العميد يقول : ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها ، حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبراني وأبي بكر الجِعَابي بحضرتي ، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه ، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه .

فقال الجعابي : عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي .

فقال : هاته.

فقال : نا أبو خليفة ، نا سليمان بن أيوب ... وحدّثَ بالحديث .

فقال الطبراني : أنا سليمان بن أيوب ، ومني سمع أبو خليفة ، فاسمع مني حتى يعلو إسنادك فإنك تروي عن أبي خليفة عني ، فخجل الجعابي وغلبه الطبراني .

قال ابن العميد : فوددت في مكاني أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لي وكنت الطبراني ، وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث ، أو كما قال .

وذكر ابن عساكر في "تاريخ دمشق (5/469) "عن ابن أبى الخناجر ، قال : كنت في مجلس يزيد بن هارون بواسط ، فجاء أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس - وفي المجلس ألوف -فالتفت إلى أصحابه ، فقال : هذا الملك .

فالعلم جعله الله أعظم سبب لنيل خيري الدنيا والآخرة ، ففي "صحيح البخاري" رقم (7324)عن محمد - وهو ابن سيرين- قَالَ :كُنَّا عِنْدَ أَبِى هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ فَتَمَخَّطَ ، فَقَالَ : بَخْ بَخْ ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِى الْكَتَّانِ ، لَقَدْ رَأَيْتُنِى وَإِنِّى لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ ، فَيَجِىءُ الْجَائِى فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِى ، وَيُرَى أَنِّى مَجْنُونٌ ، وَمَا بِى مِنْ جُنُونٍ ، مَا بِى إِلاَّ الْجُوعُ .

وقال أبو هلالا لحسن بن عبد الله العسكري في "الحث على طلب العلم " صـ (43 :(فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق ، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والأعوام ، وهيبة بغير سلطان ، وغنًى بلا مال ، ومنعة بغير سلاح ، وعلاءً من غير عشيرة ، وأعواناً بغير أجر ، وجنداً بلا ديوان وفرض ، فعليك بالعلم ، فاطلبه في مظانه ، تأتك المنافع عفواً ، وتلقَ ما يعتمد منها صفواً .

وقال وهب بن منبه : يتشعّب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيًّا ، والقرب وإن كان قصياً ، والغنى وإن كان فقيرًا ، والنبل وإن كان حقيراً .ذكره عنه المناوي في "فيض القدير " (1/ 692).

وهكذا خير الآخرة ، كماجاء في "صحيح مسلم" رقم (2699)عن أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم » : -وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ

طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ .« ورواه البخاري في "صحيحه (1/210) "مع "فتح الباري" معلقاً من وجه آخر.

وروى البخاري (71)،ومسلم (1037)عن معاوية بن أبي سفيان قال - صلى الله عليه وسلم- :" « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .«

وأمرٌهذه فوائده وعواقبه ومنافعه لا يكون نيله إلا بالجد والاجتهاد والتعب وسهر الليالي، قال يحي بن أبي كثير :"لايُستطاع العلم براحة الجسد "ذكره الإمام مسلم في "صحيحه " (5/117)مع "شرح النووي."

وقال الشافعي : " لا يدرك العلم إلا بالصبر على الضر . " ذكره عنه الخطيب في"الفقيه والمتفقه" رقم . (828)

وقال أيضاً كما في المصدر السابق رقم " : (823)لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزّ النفس فيفلح , ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح . "

وقال ابن الجوزي :فإن العلم بطيء اللزام بعيد المرام ،لايدرك بالسهام ،ولا يرى في المنام ،ولا يورث عن الآباء والأعمام ،إنما هوشجرة غرس،لايصلح إلا بالدرس ،ولا يحصل إلا بالاستناد على الحجر، ومواصلة السهر ، وافتراش المدر، وقلة النوم ،وصلة الليلة باليوم ... - إلى أن قال - : فلايدركه إلا من أنفق العين ، وجثّ على الركبتين .

وقال ابن القيم في "مفتاح دار السعادة - (1/111-112) "وهو يتكلم عن سعادة العلم - : وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها ، وعورة طريقها ومرارة مباديها وتعب تحصيلها ، وأنها لاتنال إلا على جدٍ من التعب فإنها لا تحصل إلا بالجد المحض ... وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية ،

وقد أحسن القائل في ذلك : فقل لمرجي معالي الأمور ... بغير اجتهاد رجوت المحالاْ وقال الآخر : لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال .اهـ

**فصل**

**في فضل الذكر**

قال المناوي في"الفيض (5/630) "تنبيه : (قال بعضهم : الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الله ، وقيل : ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان سواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله ، أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه ، وما يقرب من الله من فعل أو سبب بنحو قراءة أو ذكر اسمه أو نحو ذلك ، فالمتفقه ذاكر ، وكذا المفتي والمدرس والواعظ والمتفكِّر في عظمته تعالى ، والممتثل ما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه .اهـ

روى الإمام الترمذي رقم (3377)وغيره عن أبى الدرداء رضى اللَّه عنه قال قال النبى - صلى الله عليه وسلم- : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِى دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ .« قَالُوا : بَلَى .قَالَ : « ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى .« فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رضى الله عنه -: مَا شَىْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

قال شيخنا في "الصحيح المسند" رقم : (1038)هذا حديث صحيح .اهـ

وروى الطبراني في " المعجم الأوسط" رقم (2296)عن جابر رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال " مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى . "

قِيلَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ ! قَالَ " : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تضْرِبَ بِسَيْفِك حَتَّى يَنْقَطِعَ . "

قال العلامة الألباني في "صحيح الترغيب" رقم :(1497)حسن لغيره .اهـ

فذِكْر الله -أيها المسلمون- عبادة عظيمة جامعة لسائر الطاعات ، روى الإمام الترمذي رقم (3375)، وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ - رضى الله عنه - أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ .قَالَ : « لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .«

قال أبو الحسن المباركفوري في " مرعاة المفاتيح ) : "قال لا يزال) ، أي : هو إنه لا يزال (لسانك رطباً من ذكر الله) ، أي : طرياً مشتغلاً قريب العهد منه ، وهو كناية عن المداومة على الذكر . قال ابن القيم في"الوابل الصيب" : (الفائدة السابعة والخمسون للذكر) أن أدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع ، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقالوا : يا رسول الله !ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون. فقال » : ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من

بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم. قالوا : بلى يا رسول الله!قال تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة « ... الحديث متفق عليه .فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحـج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يسبقونهم بهـذا الذكر ، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم التعبد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين .اهـ

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم كما تحكي عنه عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها - كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- " يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ ."رواه مسلم رقم (373)، وعلقه البخاري في "صحيحه (1/528) "مع "فتح الباري"

بل كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "رواه البزار في "المسند" رقم (2075)عن ابن مسعود ، وهو في "الصحيح المسند" رقم (867)، وقال : هذا حديث حسن .اه

وكان يعلِّم ذلك أصحابه ،كما جاء عند البزار أيضاً رقم (2661)، ورواه أبو داود رقم (1522)عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا ، فَقَالَ » : يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ . «فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ . فَقَالَ » : أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ . «

وهذه الصفة قد أمر بها ربنا في كتابه فقال:{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ{

وقال:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ {

وكم في ذكر الله من فوائد وفضائل فهوحياة القلوب .

قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ {

وهو يعطي البدن القوة والنشاط ، كما جاء عند البخاري (1142)، و مسلم (776)من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ

لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ . فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ . «

وروى البخاري (3113)، و مسلم (2727)أيضاً عَنْ ابْنَ أَبِي لَيْلَى حَدَّثَنَا عَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا وَأَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- سَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ . فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- : « عَلَى مَكَانِكُمَا ». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ

عَلَى صَدْرِي . ثُمَّ قَالَ : « أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ».

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تَقْدر على الخدمة أكثر مما يقدر عليه الخادم.

قال ابن القيم في "الوابل الصيب "صـ (106 ) : (الحادية والستون : ( أن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر ، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً ، وقد علَّم النبي - صلى الله عليه وسلم- ابنته فاطمة وعلياً - رضي الله عنهما - أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين ، لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلَّمها ذلك ، وقال » :

إنه خير لكما من خادم . «فقيل أن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم . اهـ

الحافظ في "فتح الباري : (11/150) "وفيه - أي : حديث فاطمة - أن من واظبعلى هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه و سلم على ذلك .

كذا أفاده بن تيمية ، وفيه نظر ، ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب ، والله اعلم . اهـ

وروى البجاري (4205)، ومسلم (2704)عَنْ أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - فِى سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - : « أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا . « ثُمَّ أَتَى عَلَىَّ وَأَنَا أَقُولُ فِى نَفْسِى : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ قُلْ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ . « أَوْ قَالَ : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِىَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . «

قال ابن القيم في"الوابل "صـ ( 106 : (وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة وتحمّل المشاق والدخول على الملوك ، ومن يخاف وركوب الأهوال ، ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر ،كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم » : – من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً . «وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدوًا أو ناهض حصناً قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنه ناهَضَ يوماً حصناً للروم فانهزم ، فقالها المسلمون وكبَّـروا فانهدم الحصن .اهـ

قلت : الحديث المذكور لا يصح ، قال في "لسان الميزان : (1/385) "أسد بن وداعة : شامي من صغار التابعين ناصبي يسب ... وقال النسائي : ثقة . اهوقال الألباني في " ضعيف الترغيب والترهيب " رقم (980 : (ضعيف .اهـ

وفي "صحيح البخاري (6407) "، و"صحيح مسلم (779) "أيضًا عَنْ أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - : « مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ . «هذا لفظ البخاري ، ولفظ مسلم : « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ .«

بل جعله الله سببًا للنصر والفلاح ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ { وأيضًا فهو سبب لنيل الأجور ومغفرة الذنوب ، قال تعالى:{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {

والذاكرون الله هم أهل السبق للخير فقد جاء عند مسلم رقم (2676)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -يَسِيرُ فِى طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ : « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ .« قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ .«

فذِكْرُ الله سلاحك - أيها المسلم- يوم أن تَقْدُم على ربِّك فيجعلك في ظل عرشه،كما جاء عند البخاري (660)، ومسلم (1031)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ » : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ «وذكر منهم « وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. «

وجاء عند البزار رقم (8751)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ » : ثَلاَثَةٌ لا يُرَدُّ دُعاؤُهُمْ : الذَّاكِرُللهِ ، ودَعْوَةُ المَظْلُومُ ، والإمامُ المُقْسِطُ . «

وحسنه العلّامة الألباني في "الصحيحة" رقم (3374)

وفي "صحيح البخاري (7405) "، و "صحيح مسلم (-2675)" عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم – قَالَ » :يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُم . «

وعند ابن ماجه رقم (3792) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ » : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِى إِذَا هُوَ ذَكَرَنِى وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَاهُ .«

وصححه العلّامة الألباني في "صحيح ابن ماجه. "

**فصل**

**في ذكر كتب الأذكار المعتمدة**

**والتحذير من الكتب المبتدعة**

في "فتاوى اللجنة الدائمة" : الفتوى رقم ( 20208 )

س :أنا مواطن مسلم ، أفضل أن أملأ وقت فراغي بقراءة القرآن وذكر الله ، والصلاة على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في بداية الأمر كنت أجمع الأذكار والأدعية من كتب مختلفة وأطبقها مثل : (الأذكار النووية) ، (عمل اليوم والليلة) إلى أن التقيت بإنسان يقول بأن عنده أورادًا مأثورة ، وضعها ولي صالح هويدي ، إبراهيم الدسوقي صاحب (الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية) وحجته : أنه لا يجوز أخذ الأوراد من الكتب ، بل من يد آمنة ؛ لأنك ربما تخطئ في وضع الأوراد في مكانها ووقتها ، أنا متردد في القيام بها ، أريد حكمًا شرعيًا ، جزاكم الله عن الإسلام خيرًا .

ج :عليك بالاعتماد على كتب الأذكار الموثوقة التي ألفها العلماء الثقات ، مثل : (الأذكار) للإمام النووي ، و (الوابل الصيب من الكلم الطيب) لابن القيم ، و (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وأما الأذكار التي وضعها أئمة الصوفية فالغالب عليها أنها تشتمل على أذكار غير مشروعة ، أو أذكار شركية ، مثل : التوسل بالمخلوقين ، أو الاستعانة بهم من دون الله عز وجل ، والقول بأنه لا يجوز أخذ الأوراد من الكتب بل من أيد آمنة قول باطل ؛ لأن الأذكار تؤخذ من كتاب الله عز وجل ومن كتب الأحاديث الصحيحة .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .اه

وفيها أيضًا: الفتوى رقم ( 20865 )

ج :هذه النبذة المسماة : (المجموعة المباركة في الصلوات المأثورة والأعمال المبرورة ، تأليف : عبده محمد بابا ) لا يعتمد عليها ، لما تشتمل عليه من الأحاديث التي لم تعزَ إلى كتاب موثوق من كتب الحديث التي فيها أدعية بدعية ، وفي آخره صلوات وأوراد مبتدعة وتوسلات شركية لأصحاب الطرق الصوفية المنحرفة ،كابن مشيش وصاحب دلائل الخيرات وأحمد البدوي وغيرهم شعرًا ونثرًا ، فالواجب التحذير من هذه النبذة وما شابهها ؛ نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .اه

**فصل**

**في فضل مجالس العلم و الذكر**

وأعني بذلك مجالس أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح ، فهي مجالس الهدى والخير ، التي ينبغي للعبد المسلم أن يلزمها ، وأن يحثّ نفسه وغيره على حضورها ، فكم فيها من المنافع والمصالح.

قال ابن رجب في بدء كتابه "لطائف المعارف : "

كانت مجالس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله و ترغيب و ترهيب ، إما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة و الموعظة الحسنة ، و تعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكر و يعظ و يقص ، و أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و أن يبشر و ينذر و سماه الله { مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا... {اهـ

قلت : ولهذا تجد في الكتاب والسنة الحث و الترغيب لهذا الخير :

قال الله تعالى : {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. {

قال أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير في تفسيره ": **تفسير القرآن العظيم** : "

أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء .اهـ

فهؤلاء هم الذين يُجالسون ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً . » رواه البخاري (2101)، ومسلم (2628)عن أَبِي مُوسَى- رضى الله عنه -

قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في "شرح صحيح البخارى : (6/232) "وإنما خرج كلامه عليه السلام فى هذا الحديث على المثل فى النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته ،

كالمغتاب والخائض فى الباطل ، والندب إلى مجالسة من ينال فى مجالسته الخير من ذكر الله تعالى ، وتَعلُّم العلم وأفعال البر كلها .اه

وقد ورد في فضل مثل هذه المجالس الخير الكثير منها :

ما رواه البخاري (6408)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِى الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ . قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ - : مَا يَقُولُ عِبَادِى ؟

قَالُوا : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ .

قَالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِى ؟

قَالَ : فَيَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ .

قَالَ : فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا .

قَالَ : يَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِى ؟

قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ .

قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا .

قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً .

قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ .

قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا .

قَالَ : يَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟

قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً .

قَالَ : فَيَقُولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ .

قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ : فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ .

قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ . «

ورواه مسلم رقم (2689)بلفظ:

»إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟

فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟

قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ .

قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟

قَالُوا : لاَ أَىْ رَبِّ .

قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟

قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ.

قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟

قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ .

قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟

قَالُوا : لاَ.

قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟

قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ.

قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا

قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ .

قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ .«

قال أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبد السلامالمباركفوري في "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" : (7/395) "فيحفونهم "بفتح التحتية وضم الحاء وتشديد الفاء من الحف وهو الاشتمال حول شيء ، أي : يطوفون بهم ويدورون حولهم من جوانبهم ، "بأجنحتهم" قال المظهري : الباء للتعدية ، أي : يديرون أجنحتهم حول الذاكرين ، وقال الطيبي : الظاهر إنها للاستعانة كما في قولك : كتبت بالقلم ، أي : يطيفونهم ويحدقون بهم

بأجنحتهم لأن حفهم الذي ينتهي إلى السماء إنما يستقيم بواسطة الأجنحة ، "إلى السماء الدنيا" ، وفي رواية : "إلى سماء الدنيا" قال الطيبي : أي يقف بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا .اهـ

وقوله في رواية : "فُضْلًا" ، قال ابن الأثير في "النهاية" : زيادة عن الملائكة المُرَتَّبين مع الخلائق .اهـ

وروى البخاري (66)، ومسلم (2176)عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلاَثَةٌ ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَذَهَبَ وَاحِدٌ .قَالَ : فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم . - قَالَ » : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ : أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ . «

قال محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري في "تحفة الأحوذي :(7/424) "وفي الحديث استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم في موضع بارز ظاهر للناس والمسجد أفضل فيذاكرهم العلم والخير .وفيه جواز حلق العلم والذكر في المسجد ، واستحباب دخولها ومجالسة أهلها ، وكراهة الانصراف عنها من غير عذر ، واستحباب القرب من كبير الحلقة ليسمع كلامه سماعًا بيِّنًا ويتأدب بأدبه ، وأن قاصد الحلقة إن رأى فرجة دخل فيها وإلا جلس وراءهم ، وفيه الثناء على من فعل جميلًا فإنه صلى الله عليه و سلم أثنى على الاثنين في هذا الحديث ، وأن الإنسان إذا فعل قبيحًا ومذمومًا وباح به جاز أن ينسب إليه . اهـ

*وروى البخاري (7405)، ومسلم (2675)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم - : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى ، فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. «

*وروى مسلم (2701)عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟

قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ.

قَالَ : آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ ؟

قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ.

قَالَ : أَمَا إِنِّى لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّى وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : « مَا أَجْلَسَكُمْ » ؟

قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا .

قَالَ : « آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ »؟

قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ .

قَالَ » :أَمَا إِنِّى لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِى جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِى بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ.«

قال أبو الحسن المباركفوري في " مرعاة المفاتيح " :(7/412) "يباهي بكم الملائكة" ، أي : فأردت أن أحقق بماذا كانت المباهاة فللاهتمام بتحقيق ذلك الأمر الإشعار بتعظيمه أستحلفكم ، قال النووي : قوله "إن الله يباهي بكم الملائكة" معناه يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثنى عليكم عندهم ، وأصل البهاء الحسن والجمال ، وفلان يباهي بماله وأهله ، أي : يفتخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم .انتهى وقيل : معنى المباهاة بهم أن الله تعالى يقول لملائكته : انظروا إلىعبيدي هؤلاء كيف سلطت عليهم نفوسهم وشهواتهم وأهويتهم والشيطان وجنوده ، ومع ذلك قويت همتهم على مخالفة هذه الدواعي القوية إلى البطالة وترك العبادة والذكر فاستحقوا أن يمدحوا أكثر منكم ، لأنكم لا تجدون للعبادة مشقة بوجه ، وإنما هي منكم كالتنفس منهم ففيها غاية الراحة والملائمة للنفس . اه

*وروى مسلم رقم (2699)عن أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم : - »مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .«

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب في "جامع العلوم والحكم" : وسلوكُ الطَّريقِ لالتماس العلم يدخُلُ فيه سلوكُ الطَّريق الحقيقيِّ ، وهو المشيُ بالأقدام إلى مجالسِ العلماء ، ويدخلُ فيه سلوكُ الطُّرُق المعنويَّة المؤدِّية إلى حُصولِ العلمِ ، مثل حفظه ،

ودارسته ، ومذاكرته ، ومطالعته ، وكتابته ، والتفهُّم له ، ونحو ذلك مِنَ الطُّرق المعنوية التي يُتوصَّل بها إلى العلم .اهـ

*وروى مسلم رقم (2700)عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ : « لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.«

ورواه أبو داود (1455)، وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .«

قال محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني في "سبل السلام :(4/213) "دل الحديث على فضيلة مجالس الذكر والذاكرين وفضيلة الاجتماع على الذكر ، وأخرج البخاري : "إن لله مـلائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يـذكرون الله - تعالى - تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا "... الحديث.

وهذا من فضائل مجالس الذكر تحضرها الملائكة بعد التماسهم لها ، والمراد بالذكر هو التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن ونحو ذلك ... والذكر حقيقة في ذكر اللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضار معناه وإنما يشترط أن لا يقصد غيره فإن انضاف إلى الذكر باللسان الذكر بالقلب فهو أكمل وإن انضاف إليهما استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه إزداد كمالًا ، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما فكذلك ، فإن صحالتوجه وأخلص لله فهو أبلغ في الكمال . وقال الفخر الرازي : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد

والتمجيد والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات ، وفي أدلة التكليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامـه وفي أسرار مخلوقات الله ، والذكر بالجـوارح هو أن تصير مستغرقة بالطاعات ، ومن ثمة سمى الله الصلاة ذكرًا في قوله: {فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} . اه

وقال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين في"شرح رياض الصالحين : "يدل على فضل الاجتماع على ذكر الله - عز وجل - ولا يلزم من هذا أن يذكروا الله بصوت واحد بل الحديث مطلق ، لكن لم يعهد عن السلف أنهم يذكرون ذكرًا جماعيًا كما يفعله بعض أهل الطرق من الصوفية وغيرها ، وفيه أن هؤلاء المجتمعين تنزل عليهم السكينة ، والسكينة : هي طمأنينة القلب وخشوعه وإنابته إلى الله – عـز وجل - وتغشاهم الرحمة ، أي :تحـيط بهم من كل جانب فيكونون أقرب إلى رحمة الله - عز وجل - وحفتهم الملائكة ، أي :كانوا حولهم يحفون بهم إكرامًا لهم ورضًا بما فعلوا وذكرهم الله فيمن عنده ، أي : في الملأ الأعلى . اه

*وروى مسلم رقم (803)عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِـرٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُـولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ - فَقَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ ؟.«

فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ .

قَالَ : « أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ .«

قال في "النهاية" : ناقة كَوْماء ، أي : مُشْرفة السَّنام عاليَته .اه

*روى أبو داود رقم (3667)عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « لأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ

الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً .« قال شيخنا في "الصحيح المسند" رقم : (106)هذا حديث حسن .اهـ

*وروى الترمذي رقم (3510)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا .«قَالَ : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ :« حِلَقُ الذِّكْرِ .« قال العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم : (2562)حديث حسن .اهـ

قوله : "فارتعوا" من رتعت الماشية رتعًا ورتوعًا من باب نفع ، رعت كيف شاءت ، قال في "القاموس" : رتع كمنع ، أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة ، أو هو الأكل والشرب رغداً في الريف.اهـ

*وروى الطبراني في "المعجم الكبير /6) "رقم ( 6039عن سهيل بن حنظلة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُوْنَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيْهِ فَيَقُوْمُوْنَ حَتَّى يُقَالَ : لَهُمْ قُوْمُوْا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٌ . « قال العلامة الألباني في"صحيح الترغيب" رقم : (1506)صحيح لغيره .اهـ

## فصل

## و فيه ذكر ما يتعلّق بآداب ينبغي مراعاتها

## في مجالس أهل العلم و الذكر

في هذا الفصل أحبّ أن أذكر لك بعض الآداب التي لابدّ أن نسلكها و أن نتحلّى بها عند جلوسنا في مجالس العلم و الذكر:

*أعظمها : أمر لا تنال هذه العطايا والأجور إلا به ألا وهو أن تبتغي بجلوسك في هذه المجالس وجه الله.

روى الإمام أحمد في المسند (12453) "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ : « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَهُ إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّآتُكُمْ حَسَنَاتٍ .«

قال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" : صحيح لغيره

*ومنها الإنصات للمتكلِّم ، كما في قوله تعالى }: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . {

*ومنها ما جاء في قوله سبحانه وتعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . {

قال ابن سعدي في التفسير : هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود.

وليس ذلك بضار للجالس شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه .

}وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا } أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، }فَانْشُزُوا } أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان .اهـ

*ومنها ما رواه البخاري (6269)، ومسلم (2177)عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ « لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِى مَجْلِسِهِ .«وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ عَنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ .

*ومنها ما رواه مسلم (2179)عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : »إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ .«

*ومنها اتخاذ المكان الواسع ليعم الحاضرين ولعدم التضايق في المكان ، لما رواه أبو داود (4820)عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا .«

*ومنها احترام الكبير في المجلس وتقديمه في الكلام ففي "صحيح البخاري (61)"، و "صحيح مسلم (2811) "واللفظ له ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -فَقَالَ : « أَخْبِرُونِى بِشَجَرَةٍ شِبْهِ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا .«

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا.

فَقَالَ عُمَرُ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا .

فقد بوّب له البخاري فقال : باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال .

قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرحه للصحيح ( 9/318) : قال المؤلف : إكرام الكبير وتقديمه فى الكلام وجميع الأمور من أدب الإسلام ومعالي الأخلاق ، ... ولهذا المعنى قال عليه السلام : "كبِّر كبِّر" فأمر أن يبدأ الأكبر بالكلام ، فكان ذلك سنة إلا أنه دل حديث ابن عمر أن معنى ذلك ليس على العموم ، وأنه إنما ينبغى أن يبدأ بالأكبر فيما يستوي فيه علم الكبير والصغير ، فأما إذا علم الصغير مايجهل الكبير ؛ فإنه ينبغى لمن كان

عنده علم أن يذكره وينزع به وإن كان صغيرًا ، ولا يعد ذلك منه سوء أدب ، ولا تنقصًالحق الكبير فى التقدم عليه ؛ لأن النبى عليه السلام حين سأل أصحابه عن الشجرة التى شبهها بالمؤمن وفيهم ابن عمر وغيره ممن كان دونه فى السن لم يوقف الجواب على الكبار منهم خاصة ، وإنما سأل دونه فى السن لم يوقف الجواب على الكبار منهم خاصة ، وإنما سأل جماعتهم ليجيب كل بما علم ، وعلى ذلك دل قول عمر لابنه : لو كنتَ قلتها كان أحب إلى من كذا وكذا ؛ لأن عمر لا يحب ما يخالف أدب الإسلام وسننه .اهـ

وفي معنى هذا ما ثبت في "صحيح مسلم [ 88 - (964) ] "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- غُلاَمًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ فَمَا يَمْنَعُنِى مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ أَنَّ هَا هُنَا رِجَالاً هُمْ أَسَنُّ مِنِّى